

الحلقة (٦)

تفسير آيات الأحكام

تفسير الآيتين (١٠١ و ١٠٢) من سورة البقرة

الآية ١٠١ هي قوله تعالى {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (١٠١)

هذا يسمى التفسير التحليلي، نحلل المفردات، نبين مراجع الضمير للحاجة، الإعراب على وجه الاختصار للحاجة أيضاً، إذا كان هناك قراءات، إذا كان هناك أسباب نزول، فوائد نستنبطها، مسائل مرتبطة بالآية.

ولما جاءهم: الضمير في قوله: ولما جاءهم يعود إلى أحبار اليهود وعلمائهم، لأن الآيات كما هو واضح في الكلام عن أحبار اليهود، وقيل هو يعود إلى بني إسرائيل كلهم.

رسول من عند الله: هذا الرسول نبينا وحبينا - صلى الله عليه وسلم - لذي أخذ الله جل وعلا الميثاق على الرسل لئن بُعث النبي - صلى الله عليه وسلم - وهم أحياء ليؤمنن به، وأخذوا الميثاق على أقوامهم أيضاً، لئن بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهم أحياء ليؤمنن به، كما قال تبارك وتعالى {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} هذا الميثاق أخذه الله على الأنبياء والرسل وهم أخذوه على أقوامهم إن بُعث النبي - صلى الله عليه وسلم - وهم أحياء ليؤمنن به وهذا هو الواجب.

مصدق لما معهم: هذا من وصف النبي صلى الله عليه وسلم أنه مصدق لما معهم، مصدق لما جاء به موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام، فدعوة الأنبياء واحدة الدعوة إلى التوحيد والحذر من الشرك، هناك قراءة شاذة قراءة ابن أبي عتبة (مصدقاً) هي على النصب يكون حالاً، أما على الرفع وهي قراءة الجمهور فيكون نعت للرسول وهو مرفوع إذن الصفة تكون مرفوعة.

❖ المراد بقوله تبارك وتعالى مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ قولان:

■ **أحدهما:** أنه كان معترفاً بنبوة موسى عليه السلام وبصحة التوراة، وهذا بلا شك نعم النبي صلى الله عليه وسلم يصدق ويؤمن، بل من أركان الإيمان الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ذكر هذا من أركان الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا بد من الإيمان بالرسول والرسول صلى الله عليه وسلم مصدقاً لما معهم.

■ **المعنى الثاني** أن مصدقاً لما معهم من حيث إن التوراة بشرت بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا

أتى محمد كان مجرد مجيئه مصدقا للتوراة، فمجيء النبي صلى الله عليه وسلم على حسب ما أخبرت به التوراة نعم وقد قرأ عبد الله بن سلام وغيره من أئمة اليهود الذين أسلموا ولم يكتفوا أنه وصف عندهم النبي صلى الله عليه وسلم بأوصاف، أنه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق وهذا هو وصف النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بعثه الله جل وعلا على هذه الحال فهو مصدق لما معهم، لكنهم كفروا وعاندوا كما قال جلا وعلا {نَبَذَ قَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ} قول الله تعالى {نَبَذَ قَرِيقٌ} هذا جواب (لما) التي في بداية الآية {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ قَرِيقٌ} هذا هو جواب لما.

النبد: هو الطرح والترك والاستغناء فهو مثل لتركهم وإعراضهم عنه وجحدهم ورفضهم ما جاءهم به بعد أن كانوا مقرين به حسدا منهم له، وبغياً عليه، وبلا شك، هم لماذا جاءوا إلى المدينة؟، كانت يثرب قبل أن تسمى المدينة، هم جاءوا لأن عندهم في التوراة أنه سيبعث رجل وسيدعو إلى التوحيد، وهو مصدق، إلى آخره، فجاءوا إلى المدينة وكانوا يفاخرون على العرب يقولون سيبعث هنا رسول وسنقاتل معه وسنهزمكم إلى غير ذلك، ولكن لما جاءهم نبذوا ما جاء معه من الدعوة من توحيد الله وهذا الدين وكفروا به، قوله تبارك وتعالى {نَبَذَ قَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ} لازم الحقيقة ننتبه هذه كلمتين كلاهما منصوبتان {أُوتُوا الْكِتَابَ} مفعول به {كِتَابَ اللَّهِ} الثانية يعني كتاب الله، أيضا نصب بنبد، فكلا الكلمتين منصوبتان، وفي المراد في الكتاب فالله جل وعلا يقول {نَبَذَ قَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ} كتاب الله ما المقصود هنا بكلمة كتاب الله؟ فالمراد بذلك قولان:

- **القول الأول:** أنهم نبذوا التوراة وأعرضوا عنها واستغنوا عما فيها، لأن كفرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم له نبذ لها، قال السدي: نبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت، يعني أنه جاءهم هذا الحق ومع ذلك نبذوا التوراة يعني أعرضوا عما فيها إذن المقصود هنا القول الأول هي التوراة.

- **القول الثاني:** أن المراد بالكتاب هنا هو "القرآن"، قال الشعبي: "هو بين أيديهم يقرؤونه ولكن نبذوا العمل به"، وقال سفيان بن عيينة: "أدرجوه في الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلّوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبد" ونحن نحذر المسلمين ونقول لهم احذروا أن تكون مثل اليهود الذين تركوا التوراة، أنتم لا تتركوا القرآن وتهجروه، وأعظم هجر القرآن هجر العمل به، أما تزيينه هذا لا يغني نعم القرآن له جلالته وله قدره وله احترام، ولكن أعظم هجر القرآن هجر العمل به فلا يحل حلاله ولا يحرم حرامه، **الراجح من هذين القولين:** يرجح كثير من المفسرين **القول الأول** يقولون: القول الأول المراد بكتاب الله هو "التوراة" هو **الراجح لوجهين:**

- **الأول:** أن النبد لا يعقل إلا في من تمسكوا به أولاً، وأما إذا لم يلتفتوا إليه لا يقال إنهم نبذوه،

الإنسان لا ينبذ الشيء إلا إذا أخذه يأخذه ثم ينبذه، والقرآن ما أخذوه حتى ينبذوه، الإنسان عندما يقال فلان نبذ القلم أو نبذ العصا معناه أنه أمسكها ثم نبذها، إذن أخذوا الشيء ثم تركوه، هذا يصدق في التوراة، لكن القرآن هل آمنوا في القرآن ثم كفروا به، لا، هم أعرضوا عن القرآن ولم يقبلوه ولم يصدقوا بما فيها هذا هو الدليل الأول أو الوجه الأول.

■ **الوجه الثاني:** أن الله عز وجل قال {نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} ولو كان المراد به القرآن لم يكن لتخصيص الفريق معنى، لأنهم جميعهم لا يصدقون بالقرآن، هذا الوجه ليس بتلك القوة لأن نعم فيهم من آمن، لكن هنا يقول الله جل وعلا قال: {فَرِيقٌ} مع أن المعظم والأكثر والغالب أنهم لم يؤمنوا بهذا القرآن ولم يصدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، بل عادوه وآذوه وأعرضوا عنه وحذروا الناس من أتباعه إلى غير ذلك من المعلوم في السيرة النبوية، الأقرب والله أعلم هو القول الأول أن المراد بكتاب الله هو "التوراة".

هنا تساؤل ذكره بعض المفسرين وهو كيف يصح نبذهم للتوراة وهم يتمسكون بها ويتشبثون ويفاخرون بأنفسهم وبهذه التوراة التي بين أيديهم، مع أن القرآن نسخها ونسخ جميع الكتب؟ المفسرون أجابوا عن هذا قالوا: إذا كانت هذه التوراة تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء فيها من ذكر أوصافه ونعوته وأنها جاءت على الحق، ثم إنهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم، هذا دليل على أنهم نبذوا التوراة، وليس معنى النبذ أن يرمى الشيء حسياً، كون أن التوراة تقول إنه سيبعث في آخر الزمان رجل ووصفه كذا وكذا وفي مكان كذا وعليكم أن تؤمنوا به، ثم بعد ذلك يبعث نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به ويعادونه، معناه أنهم نبذوا التوراة ولم يعملوا بما جاء في التوراة، وهذه إجابة واضحة وجميلة.

ختام هذه الآية قول تبارك وتعالى {وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} الإنسان إذا جعل الشيء وراء ظهره من باب الإعراض والاستغناء، هم يعلمون لكن في تلاعبهم وفي تحايلهم لا يقرون ولا يؤمنون بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فهم كأنهم جعلوا التوراة خلف ظهورهم ولم يعبثوا بها، مع أنهم يدعون ويزعمون أنهم يعملون بها، فهم يشبهون من لا يعلم لفعلهم فعل الجاهل، فجاء ظاهر اللفظ على أنهم كفروا على علم لأنهم نبذوه عن علم ومعرفة، وهذا الحقيقة فيه خطورة وأي خطورة، أن الإنسان يعلم ولا يعمل، ولذلك الله جل وعلا في آخر سورة الفاتحة نحن في دعائنا العظيم {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} المغضوب عليهم هم اليهود، علموا ولم يعملوا، عندهم علم ولكنهم لم يعملوا بهذا العلم، نسأل الله العافية، والضالين هم النصارى، ليس عندهم علم ولكنهم عبدوا الله على جهل، فنعوذ بالله جل وعلا من الخذلان.

الآية ١٠٢ وهي آية طويلة نأخذ ما تيسر منها الآن

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)﴾

◀ **مناسبة هذه الآية لما قبلها**، وعلم المناسبات الكلام فيه كثير جداً، الحقيقة **لكن الراجح** أن هناك مناسبات والآيات أو السور في ترتيبها لم تأتِ هكذا اعتباطاً، لاشك أن فيه حكماً وفيه أسرار وفيه دقائق، لكن التكلف والتشدد في إظهارها والتعسف هذا أمر مرفوض ولا يقبل الحقيقة في ديننا، فما بالناس ونحن نفسر القرآن الكريم، لكن الشيء الذي يظهر والشيء الواضح الحمد لله مقبول والعلماء يذكرونه في كتب التفسير "فإن الله جل وعلا لما ذكر من قبائحهم فيما سبق أنهم نبذوا التوراة التي أخبرت بتصديق نبينا صلى الله عليه وسلم وأنه سيبعث وأنه يجب أن يؤمنوا به، ذكر الله جل وعلا هنا نوعاً آخر من قبائحهم وهو اشتغالهم بالسحر وإقبالهم عليه ودعائهم الناس إليه" يعني الأمر الأول أنهم لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ونبذوا التوراة إلى غير ذلك أيضاً ذكر الله نوعاً من أعمالهم ألا وهو الاشتغال بالسحر والعناية به.

❖ **سبب نزول هذه الآية** وسبب النزول علم شريف من علوم القرآن قال شيخ الإسلام ابن تيمية "معرفة السبب يعين على فهم المسبب" أسباب النزول مبثوثة في كتب التفسير ومن ألف فيه على وجه الخصوص الإمام الواحدي في كتابه أسباب النزول، والحافظ ابن حجر العسقلاني في بيان الأسباب، أيضاً الإمام السيوطي في كتابه لباب النقول في أسباب النزول، هذه تعتبر مراجع في أسباب النزول، سبب نزول هذه الآية قولان:

• **القول الأول:** أن اليهود كانوا لا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء من التوراة إلا أجابهم فسألوه عن السحر وخاصموه به، فنزلت هذه الآية، كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يجيبهم بالوحي من الله تبارك وتعالى، فلما سألوه عن التوراة وأجاب فانتقلوا بعد ذلك إلى السحر، ينظرون هل هو يعرف هل عنده خلفية هل عنده شيء، فأنزل الله جل وعلا هذه الآية تبين فعلهم السيئ واتهامهم لسليمان عليه السلام أنه كان يتعاطى السحر، وتبين براءته من ذلك إلى غير ذلك.

• **القول الآخر:** أنه لما ذكر سليمان في القرآن قالت يهود المدينة ألا تعجبون لمحمد عليه الصلاة والسلام يزعم أن ابن داود كان نبياً، والله ما كان إلا ساحراً، أعوذ بالله، فهم ينفون الرسالة ويقولون أبداً ما كان رسول ولا نبى، وإنما كان من السحرة، فأنزل الله جل وعلا هذه الآيات في بيان براءته، قال **السدي** "عارضت اليهود محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوراة، فاتفقت التوراة والقرآن، فنبذوا

التوراة وأخذوا بكتب آصف وبسحر هاروت وماروت" وقال محمد بن إسحاق: "لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان عليه السلام في المرسلين وجاءت في ذلك آيات في كتاب الله عز وجل قال بعض أحبارهم يزعم محمد أن ابن داود كان نبياً، والله ما كان إلا ساحراً فأنزل الله عز وجل {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا}، فالآية فيها براءة لسليمان عليه السلام مما نسب إليه، على كل حال سواء قلنا إن الأول سألوه عن التوراة وأجابهم ثم سألوه عن السحر فنزلت هذه الآية أو ما جاء من الحديث فيها عن براءة سليمان عليه السلام فكل هذا حق إن شاء الله تعالى.

❖ مفردات الآية ومعانيها والمسائل المرتبطة فيها:

{وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ} في المراد في قوله تعالى {مَا تَتْلُوا} أقوال:

- **القول الأول:** قال عطاء تتلوا أي تقرأ من التلاوة، وهذا هو المعنى الظاهر تلا فلان كذا أي قرأ.
- **القول الثاني:** قال ابن عباس رضي الله عنهما تتلوا أي تتبع أو تتبع، كأن تقول جاء القوم يتلوا بعضهم بعضاً أي يتبع بعضهم بعضاً.
- **القول الثالث:** قال الإمام الطبري رحمه الله "واتبعوا ماتتلوا أي بمعنى فضلوا، لأن كل من اتبع شيئاً وجعله إماماً فقد فضله على غيره"، والحقيقة أن الأقوال فيها تقارب ولعلها صحيحة بإذن الله عز وجل.

كلمة "ما": {وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ} اختلف في المراد بها على قولين:

- **القول الأول:** أنها مفعول به لاتبعوا، أي اتبعوا ما تقولته الشياطين على سليمان وتلته، يعني اليهود اتبعوا هذه الأشياء التي تلتها الشياطين وتقولتها على سليمان عليه السلام.
- **القول الثاني:** أنها نفي، ولكن هذا القول فيه ضعف وقد رده الإمام ابن العربي، "وقال إنه لا يصح وأنه ليس بشيء، وأن الأقرب أنها تكون مفعول به يعني [اتبعوا الذي تلتها الشياطين وتقولته على سليمان عليه السلام]."

الشَّيَاطِينُ: أظهر أن المراد بهم شياطين الجن، وهو المفهوم من هذا الاسم وقد يدخل في ذلك شياطين الإنس الذين تمردوا في الضلال، لكن الأقرب في معنى الآية وفي أسباب النزول وما ذكر من الأخبار حول هذه الآية أنهم شياطين الجن

قوله تبارك وتعالى {عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ}: على ملك سليمان: اختلف في معناه على أقوال:

- **أحدها** أن المراد على شرعه ونبوته، ما جاء به من هذا الدين، قاله الزجاج: في كتابه "معاني القرآن وإعرابه".

- **القول الثاني:** على ملك أي في ملك سليمان أي في قصصه وصفاته وأخباره، هذا وهذا كلاهما محتمل والله أعلم.

{وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ} ما فيه شك فهو نبي وأحد الأنبياء والرسول هذه الآية تبرئة لسليمان عليه

السلام من الكفر، هو لم يتقدم في الآية أو لم يذكر أن أحد نسبته إلى الكفر، لكن اليهود نسبوه إلى السحر، ولما كان السحر كفراً كان بمنزلة من نسبته إلى الكفر، وأخذ من هذا العلماء على كفر الساحر، يعني هنا في الآية هل فيه أحد قال إن سليمان كافر؟ ليس فيها أن أحداً قال إن سليمان عليه السلام قد كفر، لكن لما نسبوه إلى السحر وقالوا إنه ساحر والسحر كفر كان بمنزلة من نسبته إلى الكفر، وقلت في هذا الكلام استنباط دقيق جداً وهو أن السحر كفر.